احوال بغداد العمرانية من خلال رحلتي بنيامين التطيلي القشتالي وابن جبير الاندلسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي
دراسة مقارنة

أ.د/ اسراء حسن فاضل*

الملخص:
بغداد كما يقول عنها المؤرخ اليعقوبي (ام الدنيا وسيدة البلاد) زارها الكثير من الرحالة المسلمين والاجانب من بلدان مختلفة وفي اوقات متفاوته، كل منهم دون ما شاهده بعين غير عين الاخر، وسمع شيئا غير الذي سمعه الآخر، او ذكر مبالغات لم يذكرها غيره.
ان اختيارنا لاثنين من هؤلاء الرحالة، احدهما الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار بغداد سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، والرحالة ابن جبير الاندلسي الذي زارها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، له ما يبرره ذلك ان بنيامين هو اول رحالة اوربي من غير المسلمين- يهودي- يزور بغداد، والرحالة ابن جبير الاندلسي وهو اول رحالة مسلم يزورها ولكل منهما اهتمامات ومشاهدات وصفيه تختلف عن الاخر جديره بالدراسة والتدقيق.
ان استقراء وصف بنيامين التطيلي لبغداد ومشاهداته العمرانية فيها تضمنت روايات جديده وبخاصة عن بناء قصر الخلافة واساطينه وحدائق الحيوان فيه، وعن اعداد اليهود ومدارسهم، وابنية كنائسهم واعدادها والنقوش والزخارف الموجوده على جدرانها والكتابات على اساطينها ومشاهدات اخرى تدل على التسامح الديني والتعايش السلمي في المجتمع البغدادي، ومع هذا فقد تضمنت مشاهداته بعض المبالغات والتناقض.
اما ابن جبير فكان اكثر واقعية في وصفه لبغداد ومشاهداته لمعالمها العمرانية والحضارية فذكر تفصيلات واسعة عن محلات وطراز ابنيتها وقصورها وابوابها واسوارها ودار الخلافة ومدارسها ومساجدها ومجالس العلم فيها ومستشفياتها- المارستنات – واختصاصاتها وشكل بناء حماماتها، مما جعل المقارنه بين الرحلتين دراسة جديده لما احتوته من مفارقات وصفيه، ومبالغات شخصية وتناقضات اخبارية اخرى تستحق المقارنة تضمنها البحث بالتفصيل.فضلا عن جوانب حضارية اخرى تستحق المقارنة تضمنها البحث بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية:
بغداد - ابن جبير - بنيامين التطلي - الاحوال العمرانية.

تمهد:

نالت الرحلة مكانة بارزة في التراث العربي والاسلامي والعالمي على حد سواء، واكتسبت اهمية كبيرة في مجريات احداثه، لما لها من فوائد جمة، وما تفرزه من مردودات ومعلومات مهمة، تبعاً لاغراضها ومقاصدها واهدافها، سواء أكانت دينية وسياسية وعلمية وتجارية، أم جغرافية وعمرانية واجتماعية واقتصادية، يقول المسعودي: (ليس من لزم جهة وطنه، وقنع بما نهى اليه من الاخبار عن اقليمه، كمن قسم عمره على قطع الاقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الاسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه،واثارة كل نفس من مكمنه)[١]

وبغداد، كما يقول عنها اليعقوبي: (ام الدنيا وسيدة البلاد)[٢]، زارها الكثير من الرحالة المسلمين والاجانب، من بلدان مختلفة وفي اوقات متفاوتة كل منهم دون ما شاهده بعين غير عين الاخر، وسمع شيئاً غير الذي سمعه الاخر، أو ذكر اخباراً وروايات لم يذكرها غيره .

ان اختيارنا لاثنين من هؤلاء الرحالة الذين زاروا بغداد ودونوا مشاهداتهم عنها، احدهما الرحالة بنيامين التطيلي وثانيهما الرحالة ابن جبير، له مايبرره، وذلك ان كلاهما من بلد واحد وهو الاندلس، وأن زيارتهما لها كانت في فترة زمنية متقاربة، فالاول زاراها سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، والثاني زارها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، والاول هو اوربي يهودي من يهود قشتالة، والثاني مسلم من بلنسية. وكان لكل واحد منهما اهتمامات ومشاهدات وصفية، ومبالغات شخصية وتناقضات اخبارية مختلفة عن الاخر، مما جعل التدقيق والتحليل والمقارنة بين الرحلتين دراسة جديدة، تستحق البحث والتقصي، لاثراء المكتبة العربية بهذا النوع الفريد من الدراسات.

***استاذة التاريخ الاسلامي بقسم التاريخ ، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية.**

[١] المسعودي، مروج الذهب، ١٢/١٠.

٢ اليعقوبي، البلدان، ص٢٣٣.

❖ **اهداف الرحلتين :**لاخلاف في ان اهداف رحلة بنيامين تختلف عن اهداف رحلة ابن جبير، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تحليل واستقراء الرحلتين على النحو الاتي:_

١ _اهداف رحلة بنيامين التطيلي واهميتها، تنحصر في :

أ- الاطلاع الشخصي للتعرف والمعرفة على المشرق الاسلامي الذي استهوته خبراته وعمرانه وتجارته وشهرته التي وصلت الى الاندلس منذ دخول الاسلام فيها.

ب-التجارة كونه تاجراً مرموقاً تهمه النواحي التجارية والاقتصادية التي اراد معرفتها شخصياً، يؤيده وصفه بغداد بأن لها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع اقطار العالم للبيع والشراء[٣].

ج-الاطلاع على احوال اليهود في البلدان التي زارها كونه شخصية يهودية له معرفة بالتوراة والتلمود وهو أول يهودي يقوم بهذه الرحلة_ وخاصة بغداد_ التي ذكر ان اعدادهم فيها بلغت ٤٠ الف يهودي يعيشون بأمان ورفاهية في ظل امير المؤمنين الخليفة. ثم يذكر علمائهم ومدارسهم ويصف كنائسهم ويقدم وصفاً لاكبرها واهمها[٤]، مما يدل على التسامح الديني والتعايش السلمي في المجتمع البغدادي بخاصة والمجتمع العراقي عامة، في الوقت الذي كان فيه اليهود يعانون من القتل والتشريد والاستعباد في اوربا خلال القرون الوسطى.

٢ _ اهداف رحلة ابن جبير واهميتها، وتنحصر في:

أ.الحج الذي كان ولايزال رحلة يتشوق الى ادائها كل من استطاع اليها سبيلاً فدفعت بالمسلين من كل فج عميق للقيام بها، وكان من بينهم ابن جبير ويؤيده ذكره لنيته بالحج (للنية الحجازية المباركة قرنها الله بالتسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل)[٥].

ب. هي اول رحلة يقوم بتسجيلها وتقيدها في يوم الجمعة الثلاثين من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ وسماها (تذكر الاخبار عن اتفاقات الاسفار، اعتبار المناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك) ودامت هذه الرحلة ٣ سنوات علما انه لم يسجل الرحلة

٣ التطلي، الرحلة ، ص٣٠٤.
٤ التطلي، الرحلة، ص٢٩٩_٣٠٣.
٥ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٧.

الثانية في السنوات (٥٨٥ _٥٨٦)هـ، وكذلك الرحلة الثالثة سنة ٦٠١ هـ والتي انتهت بوفاته بالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ[٦].

ت. وصفه المستفيض عن بلدان التي زارها في طريقه الى الحج ابتداءاً منذ نزوله بالاسكندرية حتى وصوله الى مكة المكرمة التي استفاض في وصفها ومكانتها وبين مناسك الحج والاحوال العمرانية فيها، ثم بعض مدن العراق وبغداد التي ذكر تفاصيل مهمة عن احوالها العمرانية بخاصة، ثم دمشق وبعض مدان الشام، مقدما معلومات فريدة وجديدة اكسب الرحلة صفة العالمية عربية واجنبية من اعادة طبع وترجمة. فضلاً عن اعتبارها مصدراً للمؤرخين ودليلاً للجغرافيين.

أولا: رحلة بنيامين التطيلي الى بغداد سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م):

هو الرابي [٧] بنيامين بن الرابي يونه التطيلي [٨] النباري [٩] الاسباني اليهودي من يهود قشتاله[١٠]، ووجيها من وجهائها، وكان على درجة كافية من العلم بالتوراة، والتلمود، ويتضح ذلك من اهتمامه الشديد بذكر عدد يهود كل مدينة زارها، وذكر احوالهم ومعابدهم واسماء علمائهم ومدارسهم ومجالسهم، فضلاً عن اهتمامه بالشؤون الاقتصادية للبلدان التي مر بها، لكونه تاجراً مرموقاً . كل ذلك كان دافعا دفعه للقيام برحلة دامت ٨ سنوات ابتدأها سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) من مدينة سرقسطة[١١]، يؤيده قوله (كان رحلتي في اول الامر من مدينة سرقسطة)[١٢]، وكانت وجهته بالدرجة الاولى الى المشرق الاسلامي الذي استهوته خبراته وعمرانه وتجارته، ودون رحلته عند عودته الى قشتاله سنة(٥٦٩هـ/١١٧٣م)وهي سنة وفاته .

---

٦ الذهبي، تاريخ الاسلام ،حوادث سنة (٦١١-٦٢٠)هـ، رقم الترجمه: ٢٣٦،ص٢٠١؛ المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ٣٨١/٢ ؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ٥٩٨/٢ ؛ المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ق/٢، ص٥٩٥_٦٢١.

٧ الرابي او الربّى : يطلق على الحبر من احبار اليهود الذي يفهم التوراة. ينظر: رحلة بنيامين التطيلي، المقدمة، ص٧٩.

٨ التطيلي، نسبة الى مدينة تطيله، مدينة بالاندلس شرقي قرطبة تتصل باعمال آشقة . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٤٦/١.

٩ النباري، نسبة الى بنبلونه وهي مدينة غرب الاندلس على البحر المحيط. ينظر: ابو الفداء، تقويم البلدان، ص١٨٤ومابعدها.

١٠ قشتالة : اقليم عظيم بالاندلس قصبته طليطلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٧ / ٥٣.

١١ سرقسطة، بلدة مشهورة بالاندلس تتصل اعمالها باعمال تطيلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٢/٣.

١٢ رحلة بنيامين التطيلي، ص١٧٩.

❖ **زيارته بغداد :**

وصل بنيامين بغداد سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) قادماً اليها من الانبار[١٣] فبهرته المدينة واعجبه مكانة الخليفة الذي تمت الزيارة في عهده ولم يسمه وهو الخليفة المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن المقتضي لامر الله (٥٥٥هـ_٥٦٦ه)[١٤].

ان وصف بنيامين لاحوال بغداد العمرانية والحضارية من خلال استقرائها وتحليلها، تتناول ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الاول : تضمن وصفاً عاماً للمدينة دون ذكر تفاصيل دقيقة لها فقال (بغداد المدينة الكبرى، كرسي مملكة الخليفة امير المؤمنين العباسي، من ال بيت نبي المسلمين، وهو امام الدين الاسلامي يدين له بالطاعة ملوك المسلمين قاطبة، فهو عندهم بمقام البابا عند النصارى) [١٥].

وان استدراتها تبلغ عشرين ميلاً وتمتد حولها الرياض والحقول وبساتين النخيل مما لامثيل له في جميع العراق، ولها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع اقطار العالم للبيع والشراء[١٦]، ويقصد بذلك الجانب الغربي _من بغداد_ وهي المدينة المدورة التي بدأ الخليفة ابو جعفر المنصور(١٣٦_١٥٨)هـ، ببنائها سنة ١٤٥هـ واتمها سنة ١٤٩هـ، ومعظم مساكن التجار كانت فيه[١٧]، فضلاً عن البساتين والحدائق والحقول حوله ومنه تجلب الفواكه الى الجانب الشرقي [١٨] -الرصافة – الذي لم يكن مدوراً ويقتصر الى هذه المواصفات،(انظر خارطة رقم ١).

المحور الثاني : تناول بنيامين فيه معلومات جديدة لم يذكرها ابن جبير حينما زار بغداد بعده وهي:

١-وصفه الدقيق لقصر الخلافة واعجابه بعمارته وموجوداته فقال:(وقصر الخلافة في بغداد واسع الارجاء تفوق استدارته على ثلاثة احبال، تتوسطه روضة غناء فيها اشجار مثمرة وغير مثمرة من كل صنف، وفيها من الحيوان ضروب كثيرة وفي الروضة ايضاً بحيرة واسعة يأتيها الماء من حدقل – دجلة – يخرج اليها الخليفة

---

١٣ الرحلة ص٢٩٠، الانبار مدينة غربي بغداد، تبعد عنها ٦٠ كم تقريباً في طريق الفلوجة الثرثار حالياً.

١٤ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ١٩٠/١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٤١/١٢ ومابعدها.

١٥ الرحلة ص٢٩٢_٢٩٣.

١٦ الرحلة ٣٠٤.

١٧ ابن حوقل، صورة الارض، ص٢٤٠_٢٤٢.

١٨ رحلة ابن جبير، ص١٦٠.

للصيد والنزهة وقد جمعت فيها اصناف الطيور والسمك لرياضة الملك ووزرائه ورجال بطانته وضيوفه)[١٩]، (وفي هذا القصر من الابنية مايحير العقول ففيه الرخام والاساطين المزوقة بالذهب المزينة بالحجارة النادرة المنقوشة بالريازة البديعة تكسو الحيطان وفي القصر كنوز وافره وخزائن طافحة بالذهب والثياب الحرير والجواهر الكريمة) [٢٠].

وهذا القصر الذي لم يسمه بنيامين هو قصر التاج في الجانب الشرقي من بغداد، (انظر خارطة رقم١ويظهر فيها موقع قصر التاج)، لان قصر الخلافة ومقرها انتقل الى هذا الجانب منذ خلافة المهدي العباسي (١٥٨ - ١٩٦)هـ[٢١]، وان اوصاف هذا القصر وعمارته وموجوداته تنطبق تماماً على قصر التاج الذي بناه الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ -٢٩٥)هـ، واضاف اليه الخليفة المقتدر(٢٩٥ -٣٢٠)هـ، ابنية جديدة وسكنه الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦)هـ[٢٢]، الذي تمت الزيارة في عهده .

٢_ دار المارستان داخل المارستان العضدي[٢٣]، في الجانب الغربي من بغداد، (انظرخارطة رقم٢و٣ تظهر فيها محلة المارستان)، واختصاص هذه الدار وادارتها والاشراف على مرضاها هي معلومات جديدة انفرد بذكرها بنيامين ولم يذكرها ابن جبير، فقال: (وفي المارستان بناية تدعى دار المارستان يأوى اليها المجانين المغلوبون على عقولهم بتأثير حر القيظ الشديد والاطباء يقيدونهم بالاغلال حتى يتوبوا الى سابق رشدهم ويعيشون مدة مكوثهم فيها بنفقة الخليفة ويقوم اطباء الخليفة بتفقدهم مرة في كل شهر فيسرحون من عاد الى الصواب منهم ليعود الى اهله وتشمل خيرات الخليفة كل من أم بغداد من المرضى المجاذيب، فالخليفة جزيل الاحسان، همه عمل الخير) [٢٤].

اما المارستان نفسه، فكان وصف ابن جبير أفضل وادق من وصف بنيامين له الذي قال عنه: (ويقوم على الجانب الغربي من مدينة بغداد بين نهر دجلة ونهر آخر يأتي

---

١٩ الرحلة ص٢٩٣.

٢٠ الرحلة ص٢٩٥.

٢١ ابن حوقل، صورة الارض من ٢٤٠_٢٤١، والجانب الشرقي كان يسمى بعسكر المهدي وبالرصافة

٢٢ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٠٩/٩؛ وذكر ان الخليفة توفي في قصر التاج .

٢٣ نسبة الى عضد الدولة البويهي الذي افتتحه سنة (٣٧٢ه / ٩٨٢م)، ابن الجوزي، المنتظم ١١٢/٧_١١٣ ؛ ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ٦٩/١.

٢٤ الرحلة من ٢٩٨_٢٩٩.

من الفرات–يقصد نهر الصراة-[٢٥] بناء المراستان وهو مجموعة من البنايات الواسعة يأوي اليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء ولهذا المارستان قوامون من الاطباء يبلغ عددهم الستين طبيباً يعالجون المرضى ويطحنون لهم الادوية والخليفة يجهزهم بما يحتاجون اليه من بيت المال [٢٦].

٣_اهتمامه الشديد باخبار اليهود واحوالهم في المدن التي زارها اثناء رحلته ومنها بغداد الذي تقصى اخبارهم فيها فذكر اعدادهم وطراز معيشتهم واحوالهم الدينية والاجتماعية ومدارسهم وكنائسهم ووصفه كنيسة راس الجالوت[٢٧]، وانهم كانوا يعيشون بأمن وامان وطمأنينة واحترام مما يدل على التسامح اليدين والتعايش السلمي الذي ادلته الدولة العربية الاسلامية تحت خيمتها الكبرى لاصحاب الديانات والقوميات الاخرى والملتزمون بحقوق الدولة عليهم سواء أكانوا من سكانها ام من الوافدين اليها لاغراض شتى، واهم ماذكره من اخبارهم :

أ.اعدادهم الذي حددها بقوله:(ويقيم ببغداد نحو اربعين الف يهودي وهم يعيشون بامان وعز ورفاهية في ظل امير المؤمنين الخليفة وبينهم عدد من كبار العلماء ورؤساء المثيبة[٢٨] وعلماء الدين). [٢٩]

ب.مدارسهم التي حددها بعشر مدارس ، ولم يذكر شيئاً عن عمائرها فقال (ان لهم – اليهود – في بغداد عشر مدارس مهمة ولكل مدرسة رئيس_ يذكرهم بالتسلسل_ وهؤلاء يعرفون بالمعتكفين لاعمل لهم غير النظر في مصالح ابناء طائفتهم وهؤلاء العشرة مع رئيس المشيبة غاؤون يعقوب ورئيسهم جميعاً هو رأس الجالوت الرابي دانيال بن حسداي)[٣٠]، الذي يستمد سلطانه من كتاب عهد يوجه اليه من الخليفة ويجري احتفال مهيب في قصر الخليفة بتنصيبه يحضره الخليفة الذي يمنحه الرئاسة

---

٢٥ مصطفى جواد واخرون، دليل خارطة بغداد، ص١٤٣.

٢٦ الرحلة، ص٢٩٧_٢٩٨.

٢٧ راس الجالوت : هو الرئيس السياسي للطائفة اليهودية الذي يمثلهم عند الخليفة وهو على جانب عظيم من الحكمة والمعرفة باحكام التورات والتلمود، ينظر، التطلي، الرحلة،ص ٣٨٤.

٢٨ رؤساء المثيبة : الرؤساء الروحانيون للطائفة اليهودية ورئيسهم انذاك غاؤون يعقوب. ينظر: التطلي، الرحلة، ص ٣٨٧.

٢٩ الرحلة ص٢٩٩.

٣٠ الرحلة، ص٣٠٠.

على ابناء ملته كافة وينتقل هذا المنصب الى ذريته بالوراثة)[٣١]، ثم يعود الى دراه بموكبه الخاص وحوله الجماهير الغفيرة وتنفتح امامه البوقات وتقرع الطبول... [٣٢].

ت. كنائسهم، ووصفه كنيسة راس الجالوت فقال: (وبين يهود بغداد عدد كبير من العلماء وذوي اليسار ولهم فيها ثمان وعشرون كنيسة قسم منها جانب الرصافة ومنها جانب الكرخ على الشاطيء الغربي من نهر حدقل – دجلة – الذي يمر في المدينة فيشطرها شطرين. اما كنيسة رأس الجالوت فهي بناء جسم، فيه الاساطين الرخام المنقوشة بالاصابع الزاهية المزوقة بالفضة والذهب وتزدان رؤوس الاساطين بكتابات من المزامير بحروف من ذهب، وفي صدر الكنيسة مصطبة يصعد اليها بعشر درجات من رخام وفوقها الاريكة المخصصة لرأس الجالوت امير ال داود)[٣٣].

والمبالغة تبدو واضحة بذكره عدد اليهود المقيمين في بغداد وهم ٤٠ الف يهودي، بينما ذكر الرحالة فتآخيه الراتسبوني اليهودي الذي زار بغداد سنة ٥٧٤ ه بعد زيارة بنيامين لها ان عدد اليهود فيها الف يهودي فقط [٣٤]، ويظهر ان هذا العدد واقعياً واكثر قبولاً وجاء منسجماً مع ما ذكره المؤرخ ابن الاثير ت (٦٣٠)هـ، المعاصر للرحلتين (ان اليهود كانت لهم دكاكين في بغداد)[٣٥]، مشيراً الى قلة عددهم وانهم لم يغادروا بغداد لاي سبب كان في تلك الحقبة الزمنية وانهم كانوا يعاملون معاملة حسنة من قبل الخليفة وفي حاشيته عدد منهم وانهم يعيشون بعز ورفاهية في ظل امير المؤمنين الخليفة على حد قول بنيامين نفسه [٣٦].

المحور الثالث: ذكر فيه روايات خيالية واخبار غير صحيحة وتفسيرات تدل على جهل تاريخي، نوردها لنبين حقيقتها واهمها:

أ. ان الخليفة-ويقصد المستنجد بالله–عليم بمختلف اللغات–عارف بتوراة موسى (عليه السلام)، يحسن اللغة العبرية قراءةً وكتابة ... يأكل من تعب كفيه اذا يصنع الشال المقصب ويدمغه بختمه فيبيعه رجال بطانته من السراة والنبلاء فيعود عليه بالاموال

٣١ الرحلة، ص٣٠١_٣٠٢.
٣٢ الرحلة، ص٣٠٢.
٣٣ الرحلة، ص٣٠٣.
٣٤ رحلة فتاخية الراتسبوني، ١٩٩/١.
٣٥ الكامل في التاريخ، ١٤٤/٩.
٣٦ الرحلة ص ٢٩٤_٣٠٠.

الوافرة [٣٧]. ان هذه الرواية من نسيج خيال بنيامين لا اساس لها في الحقيقة والواقع، لان المؤرخين المعاصرين للخليفة وغيرهم لم يذكروا عنه ذلك، كما لم يذكروا عن الخلفاء الذين سبقوه او جاؤا بعده مثل هذه الرواية[٣٨].

ب. ان الخليفة لايبارح قصره إلا مرة في العام، في العيد الذي يسميه المسلمون عيد رمضان – عيد الفطر – فينشد الناس لرؤيته وهو في طريقه الى المسجد الجامع في باب البصرة في موكب عظيم لالقاء خطبة وصلاة العيد بالمسلمين[٣٩]، ان الشواهد التاريخية اثبتت عكس ما ذهب اليه بنيامين، فذكرت ان الخليفة كان كثير الخروج وأنه كان يصلي الجمعة في الجوامع ومنها جامع المهدي [٤٠].

ت. ان الخليفة حينما يخرج من قصره في عيد رمضان في موكبه متجها الى المسجد الجامع، مرتديا بردته... ومتوج الرأس بقلنسوه... وفوق القلنسوة قطعة قماش سوداء اللون فيها ما يشير الى التواضع [٤١].

وهذا التفسير من بنيامين يدل على جهلة التاريخي، لان اللون الاسود هو شعار العباسيين كما هو معروف ومشهور تاريخياً ولا علاقة له بالتواضع .

وختم بنيامين رحلته بقوله، وفي بغداد عدد كبير من العلماء الفلاسفة والمتفننين في جميع العلوم والمعارف والسحريات [٤٢].

ثانياً: رحلة ابن جبير الى بغداد سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م):

هو ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير بن محمد بن الأجل ابي جعفر الكناني البلنسي الاندلسي، ولد ليلة السبت١٠ربيع الاول سنة (٥٤٠ هـ/١١٤٥م) بمدينة بلنسية الاندلسية، وهو ينحدر من اسرة عربية عريقة قدمت من المشرق سنة ١٢٣هـ مع القائد بلج بن بشر بن عياض، وتوفي بالاسكندرية في ٢٧ شعبان سنة

---

٣٧ الرحلة ص٢٩٤.

٣٨ ابن الجوزي، المنتظم ١٩٤/١٠ وما بعدها ابن الاثير، الكامل ١٠٩/٩، ابن كثير، البداية والنهاية ٢٤١/١٢_٢٦٢.

٣٩ الرحلة ص٢٩٤_١٩٧.

٤٠ ابن الجوزي، المنتظم، ١٩٣/١، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٢، ابن الاثير، الكامل ٩ / ٩٣، ١٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢ / ٦٤١_٢٦٢ .

٤١ الرحلة ص٢٩٥ _٢٩٧.

٤٢ الرحلة ص٣٠٤.

(٦١٤هـ/١٢١٧م)[٤٣] . قال عنه الذهبي: (امام صالح، جليل كاتب، اديب بليغ)[٤٤]، قام بثلاث رحلات الى المشرق.

الرحلة الاولى: كان هدفها الرئيسي الحج.لقوله:(للنية الحجازية المباركة، قرنها الله بالتيسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل)[٤٥]، ابتدأها من مدينة غرناطة صباح يوم الخميس٨شوال سنة٥٧٨هـ/٣ شباط ١١٨٣م[٤٦]بصحبة ابي جعفر احمد بن حسان[٤٧]، فزار مصر، مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبغداد، وبعض مدن العراق ودمشق وبعض مدن بلاد الشام وعاد الى غرناطة يوم الخميس ٢٢ محرم سنة٥٨١هـ/٢٥ نيسان١١٨٦م[٤٨]. واستغرقت هذه الرحلة ٣ سنوات لم يدون سواها وسماها (تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار، اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك) المعروفة برحلة ابن جبير التي نالت شهرة واسعة .

الرحلة الثانية :كانت سنة٥٨٥ هـ/١١٩٠م وانتهت سنة٥٨٦هـ/١١٩١م، زار فيها بيت المقدس.

الرحلة الثالثة: كانت سنة٦٠١هـ/١١٩٦م، وانتهت بوفاته بالاسكندرية بمصر سنة ٦١٤هـ/١٢١٠ م.

ان استقراء رحلة ابن جبير وتحليلها يظهر ان اهتمامه انحصر بشكل عام باربعة محاور للمدن التي وصفها اثناء زيارته لها وقتها مدينة بغداد، وهي :

المحور الاول : ويشمل المحلات، وتضم (الارباض – الاحياء – والضواحي).

المحور الثاني : ويشمل المرافق وتضم(الاسوار-والحصون-والمساجد-والمدارس-والحمامات- والاسواق- والمارستانات-والمياه- والمنازل-والشوارع—والجسو-والابواب).

المحور الثالث : يتناول المشاهد ويضم (المقابر-والموالد-وآثار-الانبياء-والعلماء- -والاولياء-والمواقع الاسلامية-والمعابد-والكنائس-والاثار الغير الاسلامية).

---

٤٣ الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث (٦١١_٦٢٠)هـ، ترجمة ٢٣٦، ص٢٠١. المقري، نفح الطيب، ٣٨١/٢ ومابعدها، ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ٢/ ٥٩٨، المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص٥٩٥_٦٢١.

٤٤ الذهبي، تاريخ الاسلام ، حوادث سنة (٦١١-٦٢٠)، ترجمه : ٢٣٦،ص٢٠١-٢٠٢.

٤٥ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٧.

٤٦ الرحلة ص٧.

٤٧ الرحلة، ص٧.

٤٨ الرحلة ص٢٤٩_٢٥٠

المحور الرابع : يتناول احوال الناس، وصفاتهم الخلقية، وعلاقاتهم الاجتماعية والدينية، واحوالهم السياسية والاقتصادية.

دخل ابن جبير وصاحبه احمد بن حسان في الجانب الغربي من بغداد، فنزل في محلة القُرَبة وهي اكبر محلاته، بربض منها يعرف بالمربعة على شط دجلة [٤٩] في عهد الخليفة الناصر لدين الله، ابو العباس احمد بن المستضيء بامر الله (٥٧٥_٦٢٢)هـ[٥٠] قادماً اليها من الحلة [٥١] قبل صلاة العصر من يوم الاربعاء ٣ صفر سنة٥٨٠هـ[٥٢]، ومكث فيها ١٣ يوماً، وغادرها الى الموصل يوم الاثنين ١٥ صفر سنة٥٨٠هـ، فكان كما يقول: (مقامنا بها ثلاثة عشر يوماً)[٥٣]، شاهد فيها الخليفة مرتين، احدهما عشية يوم السبت٦ صفر سنة٥٨٠هـ، وثانيها يوم الاحد ٧ صفر. فقال عنه: (انه يحب الظهور للعامة، ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقيبة قد استعدوا بايامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له)[٥٤].

ووصفه بقوله: (انه حسن الشكل، جميل المنظر، ابيض اللون معتدل القامة، اشقر اللحية صغيرها، سنة نحو خمس وعشرين سنة) [٥٥].

هذا ولم يسبق للرحلة بنيامين وصف اللخيفة عند زيارته بغداد لكنه يتفق مع ابن جبير في الصفات المشتركة التي تجمع بين الخليفين التي تمت الزيارة في عهديهما.

ولقد قدم ابن جبير خلال اقامته تلك وصفاً دقيقاً لاحوال مدينة بغداد، العمرانية والعلمية والدينية والاجتماعية كما شاهدها، والتي يمكن جمعها وتنسيقها وترتيبها على محاور تنسجم مع مشاهداته للمدينة يأتي في مقدمتها المحاور الجديدة التي لم يذكرها الرحالة بنيامين عند زيارته بغداد:

---

٤٩ الرحلة ٢٥٨، والمربعة، هي مربعة القطانين تقع مقابل مشرعة سوق النظامية وهي غير محلة المربعة الموجود في شارع الرشيد في الجانب الشرقي من بغداد حالياً، ينظر : ياقوت الحموي، البلدان ٨٤/٤، ١٣٧ ؛ صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام، ٩٤/٢_١٠٠؛ مصطفى جواد واخرون، دليل خارطة بغداد، ص١٦٧.

٥٠ الرحلة ص١٦٠.

٥١ الرحلة، ص١٥٠_١٥٢، الحلة، مدينة معروفة تقع على شط الحلة المتفرع من نهر الفرات، وتبعد عن بغداد ٣ فراسخ ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٩٥/٢؛ وتبعد حالياًعن بغداد بحوالي ١٠٠كم جنوباً.

٥٢ الرحلة، ص١٥٢.

٥٣ الرحلة، ص١٦٢.

٥٤ الرحلة، ص١٦٠.

٥٥ الرحلة، ص١٦١.

اولاً : محور المحلات ويقسمها الى قسمين :

القسم الاول : محلات الجانب الغربي، وينعته (بالمعمور اولا)[٥٦]، ويقصد مدينة بغداد المدورة التي ابتدأ الخليفة ابو جعفر المنصور ببنائها سنة١٤٥هـ واتمها سنة ١٤٨هـ[٥٧]، ويذكر ان هذا الجانب يحتوي١٧ محلة، كل محلة منها مدينة مستقلة[٥٨] (فاكبرها القرية التي نزل فيها، تليها محلة الكرخ وهي مدينة مسورة، ثم محلة باب البصرة وهي ايضاً مدينة وبها جامع المنصور، ثم محلة الشارع وهي ايضاً مدينة فهذه الاربع اكبر المحلات) [٥٩]. (انظر خارطة رقم ٢و٣ وفيها تظهر محلات الجانب الغربي).

اما باقي المحلات الاصغر، فيذكر منها: محلة الوسيطة وهي بين دجلة في الجهات التي يسيقها الفرات وينصب في دجلة، ومحلة العتابية وبها تصنع الثياب العتابية، وهي حرير وقطن مختلفات الالوان، ومحلة الحربية وهي اعلاها، وليس وراءها الا القرى الخارجية عن بغداد الى اسماء بطول ذكرها[٦٠]. وفي هذا الجانب الحدائق والبساتين ومنه تجلب الفواكه الى الشرقية[٦١] .

ومن الجدير بالملاحظة، ان ابن جبير قدم وصفاً عمرانياً متناقضاً عن هذا الجانب، فهو يصفه ابتداءاً بقوله: (قد عمه الخراب واستولى عليه)[٦٢]، لكنه يذكر: (ان هذا الجانب يحتوي على١٧محلة كل محلة منها مدينة مستقلة وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية منها بجوامع يصلي فيه الجمعة)[٦٣]، ومعظم مساكن التجار واكثر الاسواق فيه[٦٤]، وان الرحالة الذين زاروا بغداد قبل ابن جبير واثناء زيارته لها ومن جاء بعده فهم لم يذكروا ان الخراب قد عمه واستولى عليه. فبنيامين التطيلي الرحالة الذي زار بغداد قبله وصفها بأنها (المدينة الكبرى)[٦٥].

---

٥٦ الرحلة، ص١٥٨.
٥٧ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨/٨.
٥٨ الرحلة، ص١٥٨.
٥٩ الرحلة، ص١٥٨ _١٥٩.
٦٠ الرحلة، ص١٥٩.
٦١ الرحلة، ص١٦٠.
٦٢ الرحلة، ص١٥٨.
٦٣ الرحلة، ص١٥٨.
٦٤ ابن حوقل، صورة الارض، ص٢٤٢ ؛ مصطفى جواد واخرون، دليل خارطة بغداد المفصل، ص١٤٨.
٦٥ رحلة بنيامين، ص٢٩٢_٢٩٣.

ووصفها الرحالة فتاخية الرانسبوني الذي زارها سنة ٥٧٤ ه بقوله: (بغداد مدينة كبيرة جداً فطولها مسيرة رحلة يوم واحد، من طرفها الى طرفها الاخر واستدارتها تستغرق رحلة ثلاثة ايام) [٦٦].

في حين ان الرحالة الهروي الذي زار بغداد في نفس فترة زيارة ابن جبير لها وصفها بقوله: (بغداد، دار السلام، وقبة الاسلام ومقر الامام)[٦٧]، اما الرحالة ماركو بولو الذي زار بغداد – او كما يسميها بلداش_ بعد ابن جبير فوصفها بقوله: (بأنها مدينة كبيرة، وانها اجمل واوسع مدينة توجد في هذا الجزء من العالم)[٦٨]،وعليه فيكون وصف ابن جبير للاحوال العمرانية في الجانب الغربي من بغداد غير دقيق ولايتناسب وحالة العمران الواسعة التي ذكرها فيه من محلات وحمامات، وجوامع يصلى بها الجمعة.

القسم الثاني: محلات الجانب الشرقي، الذي يقول عنه: (انه اليوم دار الخلافة، ودور الخلافة مع اخرها، وهي تقع منها في نحو الربع او أزيد)[٦٩]، وهذا يعني ان دور الخلافة قد احتلت جزء كبير من الجانب الشرقي. ويذكر من محلات هذا الجانب، محلة الرصافة ومنها باب الطاق المشهور على الشط، وبأعلى هذا الجانب (محلة كبيرة تعرف بمحلة ابي حنيفة_ رضي الله عنه_ وبه تعرف المحله)[٧٠]، وهي محلة الاعظمية حالياً. (انظر خارطة رقم ٢ وفيها تظهر محلات الجانب الشرقي).

ثانياً : محور المرافق، وتشمل حسب مشاهدتها التي دونها :_

١-بناية المارستان:

وهي في الجانب الغربي من بغداد، يقدم ابن جبير اضافات ومعلومات وصفية جديدة لم يذكرها بنيامين، تخص تحديد موقعه، والايام التي يتفقد بها الاطباء مرضاه ووصف العلاج لهم، وشكل عمارته والمياه الداخلة اليه فيقول: (وبين محلة الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان (انظر خارطة رقم ٢)، وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد على نهر دجلة وهو بناء قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة والاطباء تتفقده كل يوم

٦٦ الرحلة، ص١٩٩.
٦٧ ابو الحسن، رحلة الهروي، ص٦٦.
٦٨ رحلة ماركو بولو، ٥٨/١_٦٣.
٦٩ الرحلة، ص١٦٠.
٧٠ الرحلة، ص١٥٩، وهي الاعظمية – منسوبه الى الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه المتوفى ١٥٠ه.

اثنين وخميس، ويطالعون احوال المرضى به، ويرتبون لهم اخذ مايحتاجون اليه، وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية)[٧١]، ولم يتطرق ابن جبير الى دار المراستان التي تقع ضمن المارستان التي ذكرها بنيامين في رحلته وهي الخاصة بالمجانين.

٢- الاسواق:

أ- اسواق الجانب الغربي : يذكر منها سوق المراستان، ويقع هذا السوق بين محلة الشارع شمالاً، ومحلة باب البصرة جنوباً، واكتسب هذه التسمية لانه انشئ حول المراستان العضدي، فأصبح مدينة صغيرة [٧٢].

اسواق الجانب الشرقي، يقول عن هذا الجانب(انه حفيل الاسواق عظيم الترتيب)[٧٣]، لكنه لم يذكر اسم اي سوق منها .

٣- الجوامع والمساجد :

فالجامع على رأيه،هو الذي يُجمع فيه، اي تقام فيه صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات ومجموعها ١١ جامعاً لم يذكر منها سوى اربعة واحد في الجانب الغربي وثلاثة في الجانب الشرقي، اما المسجد فلا تقام فيه صلاة الجمعة ويقتصر دوره على اقامة غيرها من الصلاوات[٧٤].

أ- جوامع الجانب الغربي، ذكر منها: جامع المنصور في محلة باب البصرة وبصفة (بأنه جامع كبير عتيق البنيان حفيله)[٧٥]، اما بنيامين فيذكره بالمسجد الجامع [٧٦].

ب-جوامع الجانب الشرقي، ويعدد منها ثلاثة فقط هي :

١- جامع الخليفة، وهو متصل بداره ويصفه بأنه (جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، ومرافق الوضوء والطهور)[٧٧].

٢-جامع السلطان وهو (خارج البلد يقصد خارج سور بغداد آنذاك ويتصل به قصور تنسب للسلطان ايضاً المعروف بشاه شاه وكان يسكن هناك فابتنى الجامع امام

٧١ الرحلة، ص١٥٩.
٧٢ الرحلة، ص١٥٩.
٧٣ الرحلة، ص١٦١.
٧٤ الرحلة، ص١٥٨_١٦١.
٧٥ الرحلة، ص١٥٩.
٧٦ رحلة بنيامين، ص٢٩٥.
٧٧ الرحلة، ص١٦١.

مسكنه)[٧٨]. وهذا الجامع وضع اساسه السلطان ملكشاه بن محمد بن الب ارسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ ه واتم عمارته بهروز الخادم سنة ٥٢٤ه، في منطقة المخرم، وكان قصده ان يجعله قسماً من دار السلطنة اما موقعه بالنسبة الى بغداد الحالية، شمال محلة العلوازية [٧٩].

٣- جامع الرصافة، (بينه وبين جامع السلطان مسافة نحو ميل)[٨٠]، موقعة بالنسبة الى بغداد حالياً جنوبي محلة الاعظمية [٨١].

اما المساجد فذكرها اجمالاً بقوله: (اما المساجد بالشرقية والغربية فلا ياخذها التقدير فضلاً عن الاحصاء)[٨٢].

٤-الحمامات، وهي :

أ-حمامات الجانب الغربي : الذي يحتوي على ١٧ محلة (في كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية)[٨٣].

ب-حمامات الجانب الغربي والشرقي، فيذكر انها (لا تحصى عدة، وينقل عن احد اشياخ البلد، انها بين الشرقية والغربية نحو الالفي حمام)[٨٤]. ورغم ان الرقم مبالغ فيه، الا انه يدل على مدى اهتمام اهل بغداد بالنظافة والصحة العامة.

اما طراز بنائها يصفه (بان اكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيتخيل للنظار انه رخام اسود صقيل، وحمامات هذه الجهات اكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم، لان شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالسلال فيخرف وقد انعقد)[٨٥].

٥- المدارس: وهي كلها بالشرقية، كما يقول، وعددها نحو الثلاثين ويصفها بقوله: (وما منها مدرسة الا وهي بقصر القصر البيدع عنها، واعظمها واشهرها النظامية وهي التي ابنتاها نظام الملك، وجددت سنة اربع وخمسمائة، ولهذه المدارس اوقات

٧٨ الرحلة، ص١٦١.
٧٩ مصفى جواد واخرون، دليل خارطة بغداد، ص١٥٤.
٨٠ الرحلة، ص١٦١.
٨١ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص٢٠٤.
٨٢ الرحلة، ص١٦١.
٨٣ الرحلة، ص١٥٨.
٨٤ الرحلة، ص١٦١.
٨٥ الرحلة، ص١٦١.

عظيمة وعقارات محبسه تتصير الى الفقهاء، المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم)[٨٦].

٦-المشاهد (القبور)، وهي:

أ- مشاهد الجانب الغربي، ويذكر منها:

١-قبر معروف الكرخي – ابو محفوظ بن فيروز ت ٢٠٠ ه [٨٧]، (وهو رجل من الصالحين مشهور الذكر في الاولياء)[٨٨]، ويقع حالياً في محلة عرفت باسمه محلة الشيخ معروف.

٢-قبر موسى بن جعفر عليه السلام [٨٩]، وهو الامام الكاظم ت ١٨٣هـ[٩٠]، ودفن في محلة عرفت باسمه وهي محلة الكاظمية حالياً. (انظر خارطة رقم ٣)

٣-قبر الامام احمد بن حنبل ت ٢٤١هـ، ذكره في الجانب الشرقي قرب محلة الكاظمية [٩١]، وقد اخطأ في ذلك والصحيح انه دفن في مقبرة باب حرب في الجانب الغربي[٩٢].

ب-مشاهد الجانب الشرقي، وهي: قبر الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت ت ١٥٠هـ[٩٣]،(وبقبره تعرف المحلة)[٩٤]، وهي محلة الاعظمية الحالية، ويصف ابن جبير مشهده بقوله:(مشهد حفيل البنيان له قبه بيضاء سامية في الهواء)[٩٥]، ولم يذكر غيره.

٦_الجسور:اما الجسور بين الجانبين فعند زيارة ابن جبير لها وجد جسراً واحداً هو جسر شارع المستنصر، شارع النهر حالياً اما الجسر الاخر فأشار اليه بقوله: (ان مياه نهر دجلة حملته بمدها السيلي، فعاد الناس يعبرون بالزوارق) [٩٦]، وكان موقعه في سوق الثلاثاء (انظر خارطة رقم ٢)، بقرب من دور الخليفة آنذاك وهذا اليوم عند

---

٨٦ الرحلة، ص١٦١_١٦٢، والمدرسة النظامية نسبة الى مؤسسها نظام الملك الوزير السلجوقي سنة ٤٥٧ ه .

٨٧ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء الزمان، ٢٣١/٥_٢٣٣.

٨٨ الرحلة، ص١٥٩.

٨٩ الرحلة، ص١٥٩.

٩٠ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٧١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣١٠/٥.

٩١ الرحلة، ص١٥٩.

٩٢ الهروي، رحلة الهروي، ص٧٣؛ الخطيب البغدادي، ٤٢٢/٤؛ مصطفى جواد واخرون، دليل خارجة بغداد، ص١٦٨_١٧٠.

٩٣ الهروي، الرحلة، ص٧٤.

٩٤ الرحلة، س١٥٩.

٩٥ الرحلة، ص١٥٩.

٩٦ الرحلة، ص١٥٨.

القشلة قرب باب المعظم الحالي [٩٧]، وقد اعيد الى مكانه بعدئذ وشاهده ابن بطوطة في رحلته الى بغداد [٩٨].

٧_الابواب : ويختم ابن جبير زيارته لبغداد بذكر ابواب الجانب الشرقي فقط لان ابواب الجانب الغربي لم يعد لها وجود فيقول (وللشرقية اربعة ابواب)[٩٩](انظر خارطة رقم٢).

اولها: (باب السلطان وهو في اعلى الشط) [١٠٠] نسبة الى السلطان السلجوقي طغري بك وهو الباب الشمالي ويقع عند باب المعظم الحالي [١٠١].

ثانيهما : باب الظفربة، ويعرف اليوم بالباب الوسطاني، وكان يعرف بباب خراسان ويقع قرب تربة الشيخ عمر السهروردي [١٠٢] .

ثالثهما : باب الحلية، سمي بذلك لقربه من ميدان السباق الذي كان في هذا الموضع قبل انشاء السور، وعرف مؤخراً بباب الطلسم ويقع شرقي محلة باب الشيخ الحالية[١٠٣].

رابعهما : باب البصلية، ويسمى باب كلواذي، لان الطريق اذلي يخرج منه يؤدي الى قرية كلواذي، ويقع في محلة الباب الشرقي حالياً [١٠٤].

وبعد فمهما تباينت اوصاف بغداد العمرانية والحضارية بين الرحالتين بنيامين التطيلي وابن جبير، تبقى بغداد ام الدنيا وسيدة البلاد تثير في النفس مغامرات السندباد البحري وذكريات الف ليه وليله وحاضنة العروبة والاسلام بماضيها التليد وحاضرها الزاهر ومستقبلها النابض بكل معاني الحياة والتقدم والازدهار .

---

٩٧ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص١٩٢.
٩٨ ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، ص٢٣٦.
٩٩ الرحلة، ص١٦٢.
١٠٠ الرحلة، ص١٦٢.
١٠١ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص١٦٠.
١٠٢ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص١٦٠.
١٠٣ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص١٦٠.
١٠٤ مصطفى جواد واخرون ، دليل خارطة بغداد، ص١٦٠.

الخاتمة:

للرحلة في التراث الاسلامي اهميتها التاريخية لشمولها على فنون معرفية متنوعه من(سياسية، وادارية، واقتصادية، واجتماعية، وعمرانية)، الى جانب كون صاحبها شاهد عيان لما رأه وشاهده يجعل توثيقها على قدر كبير من الاهمية التاريخية فضلا عن انها مرآة تعكس شخصية صاحب الرحلة من خلال طريقة وصفه للمشاهدات التي يعبر عنها بما يجول به خاطره وبما تعكسه لنا ثقافته وتوجهاته. وهو ما وجدناه متمثلا في رحلة بنيامين التطلي ت(٥٦٩)هـ، وابن جبير الاندلسي ت(٦١٤)هـ، في زيارتهما لمدينة بغداد بوقت متقارب، أذ لا يفصلهما الا ستة عشر سنة ولا يمكن لهذا الفارق بالسنين ان يغير معالم مدينة كبيرة وعريقة كبغداد تغييرا جذريا. ولهذا فالرحلتين مهمتين من حيث تقارب العنصر الزمني كما ان الرحلتين يمثلان ثقافتين مختلفتين حملت توجهات متباينه اثناء زيارتهما لبغداد فبنيامين قشتالي يهودي، وابن جبير اندلسي مسلم؛ فالاختلاف بينهما واضحا بدءا من هدف الرحلة، ووصفهم لبعض المعالم والمشاهد ؛ الا انهما يلتقيان في مواضع مشتركة. ويمكن ايجاز بعض الملاحظات من حيث الاختلاف والتباين والتشابة بين الرحلتين اثناء زيارتهما لبغداد حاضرة الخلافة العباسية انذاك.

١. يقدم الرحالتين وصفا لمدينة بغداد كلٌ على طريقته فبنيامين يصف بغداد في محاور ثلاث الاول دار الخلافة فيحدد مساحته وما موجود فيه من رياض وبساتين دون الدقيق في تفاصيل اخرى كالعمائر وغيرها، اما الثاني يصف فيه دار المارستان العضدي بتفاصيل دقيقة بدت عليه اعجابه بهذه الدار من اختصاص هذه الدار وادارتها والاشراف على مرضاها؛ وفي المحور الاخير جاء على ذكر الكنائس اليهوديه وعمائرها ومدارسهم واعداد اليهود في الموجودين في بغداد ؛ اما ابن جبير فوصفه لبغداد كان اكثر تنوعا وتفصيلا فجاء باربعة محاور رئيسيه وهي: (المحلات- المرافق- المشاهد- احوال الناس)، وما فيها من معلومات اضافيه تحدث فيها عن العمائر الموجوده في كل محور مما ذكرناه اثناء البحث. فجاء وصفه اكثر دقه واوضح تفصيلا.

٢. اهتمام الرحالتان بوصف الخليفه وهيأته التي اعجب بها كلاهما ويعطينا ابن جبير تفصيلات واضحه عن صفات الخليفه الناصر لدين الله العباسي الخليقه الذي تمت الزياره بعهده.

٣. حرص بنيامين على وصف الكنائس اليهودية وعمارتها واعداد اليهود وطريقة معاملتهم ومناصب روؤساءهم، ومدارسهم واعدادها في بغداد؛ اما ابن جبير فنراه قد اهتم بوصف الجوامع والمساجد واعدادها في المحلات من كلا الجانبين الغربي والشرقي، كما جاء على ذكر اشهر شواهد الائمة الموجودين في بغداد لما لها من تاثير في نفوس المسلمين. وبهذا فأن تركيزهما جاء مختلفا الواحد عن الاخر وهو مايعكس توجههم الديني المتباين .

٤. لا تخلو رحلة بنيامين من بعض عناصر المبالغه والخيال، كالمبالغه في وصفه الخليفة العباسي المستنجد بالله الذي كانت الزياره في عهده، فنسب اليه معرفته بالتوراة؛ وانه يحسن اللغة العبرية لغة وكتابة، وانه ياكل من تعب يديه وان هذه الصفات لا اساس لها عند المؤرخين المعاصرين له او الذين جاؤا بعده ممن تناول سيرته. كما بالغ باعداد اليهود في بغداد فجعلهم اربعين الف يهودي. بالمقابل فان الرحاله ممن قدم لبغداد بعده سواء كانوا يهودا ام مسلمين ذكروا لنا اعدادا اقل بكثير مما ذكره.

٥. قدم ابن جبير وصفا عمرانيا متناقضا فيما يخص الجانب الغربي لبغداد فوصفه بالخراب، لكنه يذكر بعد ذلك ان فيه سبعة عشر محلة وكل محله مدينه مستقله فيها المساجد والحمامات والاسواق، وهو مايتنافى في وصفه الاول له.

وفي ختام بحثنا لابد من القول ان ما قدمه الرحالتان من اوصاف عن مدينة بغداد تبقى مصدرا ثرا للتراث العربي الاسلامي بما يخدم حضارة الامة العربية والاسلامية.

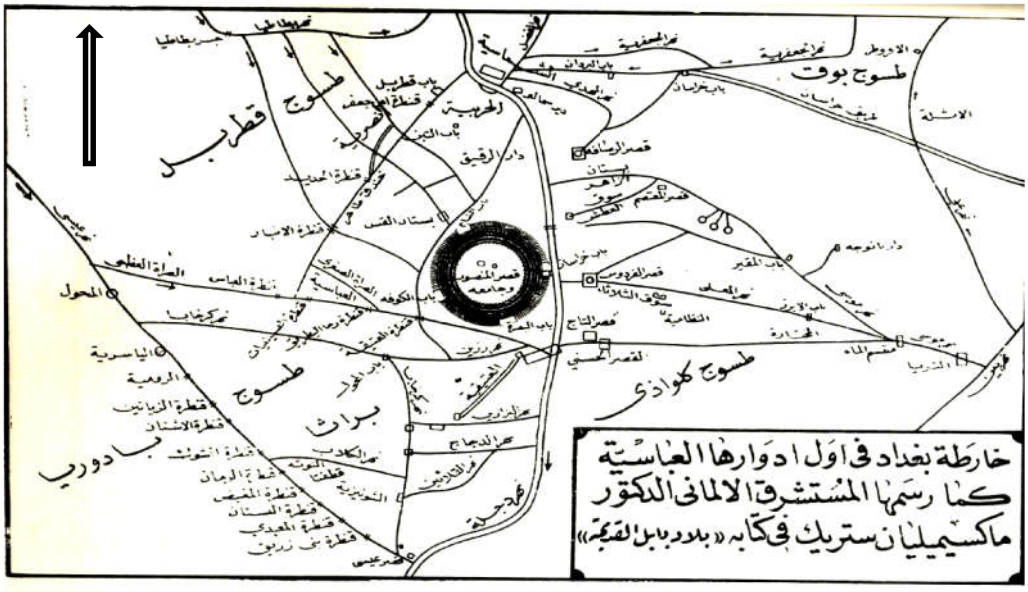

خارطه رقم ١: وتظهر فيها قصور بغداد ومحلاتها وقناطرها وانهارها
نقلا عن مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص٧٢

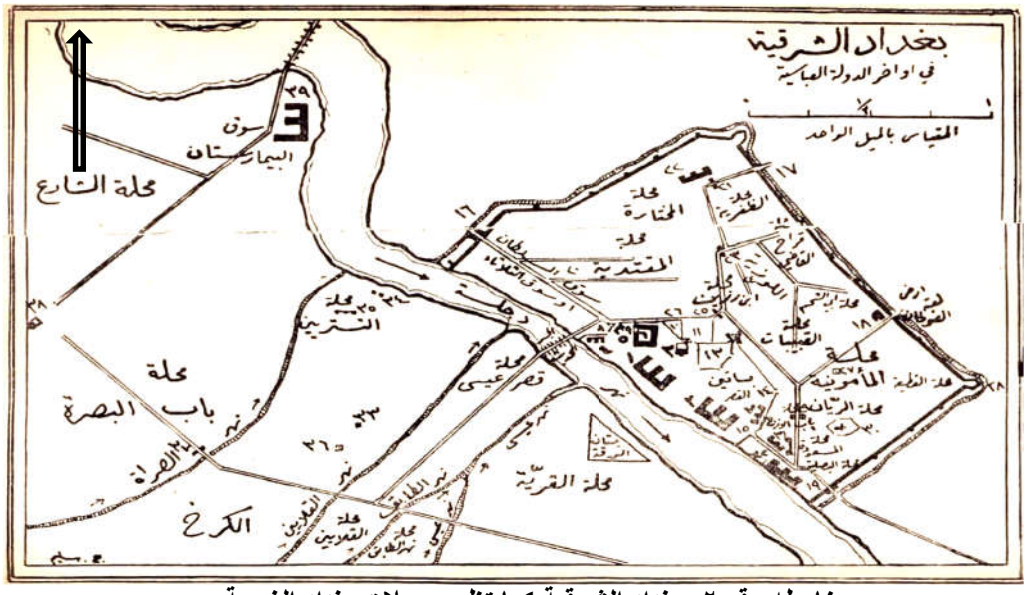

خارطه رقم ٢: بغداد الشرقية كما تظهر محلات بغداد الغربية
نقلا عن غي لسترنج،بغداد في عهد الخلافة العباسية،امام ص ٢٢٤

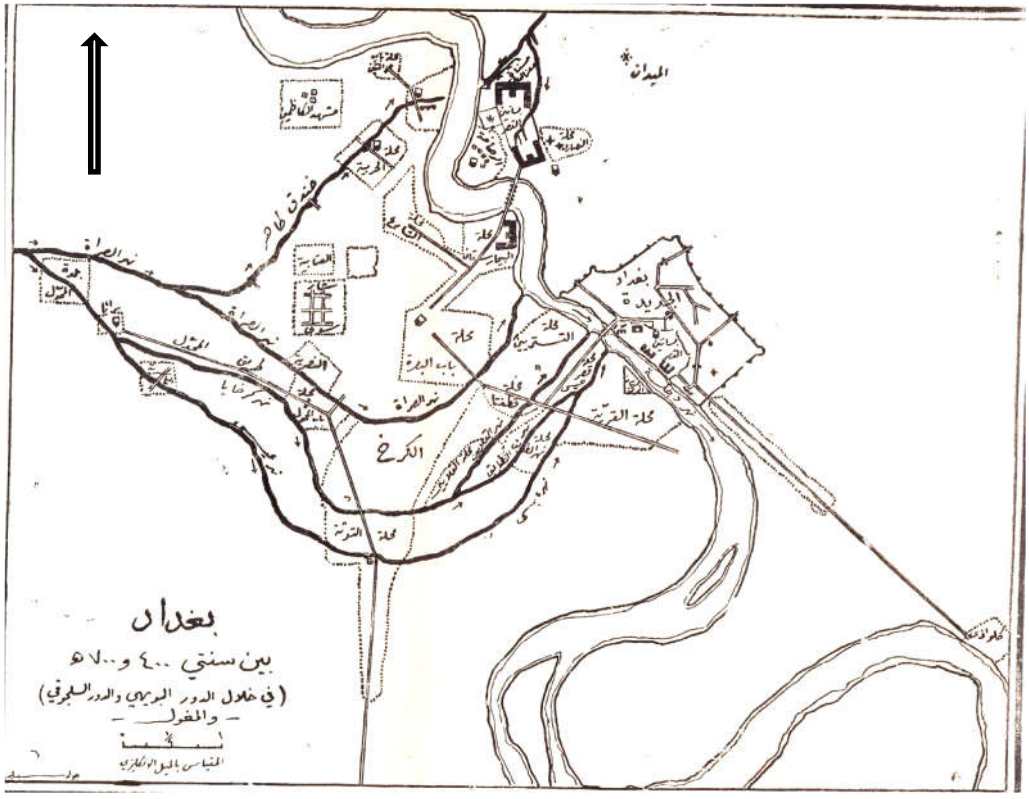

خارطه رقم ٣: محلات الجانب الغربي في بغداد

نقلا عن غي لسترنج،بغداد في عهد الخلافة العباسية،امام ص ١٩٨

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

❖ ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبد لله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ه).
١. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٩٩٥.
❖ ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري (ت٦٣٠ه).
٢. الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
❖ ابن بطوطه، شمس الدين ابي عبد الله محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩ه).
٣. رحلة ابن بطوطة، المسماة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، شرحها وكتب هوامشها، طلال حرب، ط١، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩٧ه.
❖ التطيلي، بنيامين يونة (ت ٥٦٩ه).
٤. رحلة بنيامين التطيلي، دراسة وتعليق، عبد الرحمن الشيخ، ط١، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٢م.
❖ ابن جبير، ابو الحسين محمد بن احمد البلنسي (ت ٦١٤ه).
٥. رحلة ابن جبير، المسماة تذكرة الاخبار عن اتفاقيات الاسفار، اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك، ط ١، دار الشرق العربي، بيروت، ٢٠٠٧ م.
❖ ابن الجوزي، ابو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩٧ه).
٦. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق، سهيل زكار، بيروت، ١٩٩٥م.
❖ ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت ٣٨٠ه).
٧. صورة الارض، المعروف ايضاً بالمسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨ م.
❖ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ه).
٨. تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣١م.
❖ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ه) .
٩. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، مطبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٩٤م.
❖ الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن علي احمد بن عثمان (ت٧٤٨ه).
١٠. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، بشار عواد معروف وجماعته، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ه.
❖ ابو شجاع، ظهير الدين محمد (ت٤٨٨ه).
١١. ذيل تجار الامم، تحقيق امدروز، طبعة مصر، بلا .
❖ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ه).
١٢. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
❖ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن الملك المظفر (ت٧٣٢ه).
١٣. تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠م.
❖ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ه).

١٤. البداية والنهاية، مطبعة السعادة، مصر بلا.
❖ المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ه).
١٥. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥.
❖ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦ه).
١٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٨م.
❖ المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١م).
١٧. نفح الطيب من غضن الاندلس الرطيب، تحقيق، احسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.
❖ ماركو بولو، نيقولو (ت ٧٢٥ه) .
١٨. رحلة ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر ١٩٩٥م.
❖ الهروي، ابو الحسن علي بن ابي بكر بن علي (ت ٦١١ه).
١٩. الاشارات الى معرفة الزيارات، المعروفة برحلة الهروي، تحقيق، علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦ه) .
٢٠. معجم البلدان، تقديم، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، ط٨، بيروت، ٢٠٠٨ م، وطبعة دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.
❖ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري (ت : ٢٩٢ه) .
٢١. كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، العراق، ١٣٨٤هـ

ثانياً : المراجع

❖ صالح احمد العلي،
١. بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٥م.
❖ مصطفى جواد واخرون.
٢. دليل خارطة بغداد، المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مكتبة الحضارات، بيروت، ٢٠١١م.
❖ غي لسترنج
٣. بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة،بشير يوسف فرنسيس،ط١،المطبعة العربية، بغداد، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

The Architectural Conditions of Baghdad Through Ibn Jubair Al-Andalusi and Benjamin Al-Tudela Al-Qushtali Trips in The Sixth Century AH/ The Twelfth AD - A Comparative Study

Dr. Esraa Hassen Fadel

Abstract

Baghdad as the Arabic historian Al-Yakoobi said: (the mother of the world and the lady of the conturies) was visited by many muslims and foreign travelers from different countries and in different times. Each traveler wrote down what he saw in different way from the other traveler, heard something unlike the other did or mentioned exaggerations that no other mentioned.

The choice of two travelers, one of them is the traveler Benjamin Alttila, who visited Baghdad in 564 AH / 1168 AD, and the other traveler is Ibn Jubayr Al-Andalusi who also visited Baghdad in 580 AH / 1184 AD, is justified, since that; Benjamin was the first European non-Muslims traveler- Jewish - visited Baghdad, and the traveler Ibn Jubayr Al-Andalusi was the first Muslim traveler who as well visited it. Each of the two travelers had interests and views descriptive different from each other and worthy of consideration and scrutiny.

The studying of Baghdad description that made by Benjamin Alttila and his architectural observations included new information and fictions, particularly that regarding to the construction of the Caliphate Palace, its walls and zoos in it, the numbers of the Jews and their schools, buildings of their churches and their numbers, inscriptions and decorations on the walls and writings on the walls as well and other views that show religious tolerance and peaceful coexistence in the Baghdadi community. Yet some of his observations involved exaggerations and contradictions.

Ibn Jubair was more realistic in his Baghdad description and observations of its architectural and civilization landmarks. He mentioned details on the neighborhoods, model buildings, palaces, gates, walls, Khalifa institute, schools, mosques, science councils, hospitals and model construction of its bathrooms. That makes the comparison between the two travels as a new study having paradoxes descriptive, personal exaggerations and news contradictions as well as other cultural aspects worthy of comparison which is contained in detail in the search.